97117

أبو العلاء المعرّي

نسبه وأخباره - شعره - معتقده

للعلامة المحقق المغفور له
أحمد تيمور باشا

دار الآفاق العربية

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤

رقم الايداع	٢٠٠٣ / ١١٦٣٥
I.S.B.N الترقيم الدولي	977 - 344 - 073 - 7

فهرس

صفحة

المقدمة : بقلم الأستاذ الدكتور بدوى طبانة . . .	١
فصل فى نسبه	٢٠
فصل فى بيئته	٢٢
فصل فى مولده ووفاته وحليته	٢٥
فصل فى نشأته وطلبه العلم رحلته	٣٢
فصل فى تلاميذه	٣٦
فصل فى مبلغ علمه وذكائه	٣٩
الرسالة الأغريضية	٦٧
فصل فى ثروته وزهده	٧٥
رجع إلى أبى العلاء	٨١
فصل فى مؤلفاته	٩٣
فصل فى بقية أخباره	١١١
شعر أبى العلاء	
فصل فى المكرر من شعره	١٢٥
فصل فى سرقاته	١٢٩
فصل فى مآخذ الشعراء من شعره	١٤٣
فصل فى مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره . . .	١٤٨
معتقده	
فصل فى اختلافهم فيه	١٥٣
قصيدة لأبى العلاء المعرى	١٦٦

صفحة

فصل فى معتقده فى الله ١٦٨

رجع إلى شعر أبى العلاء ١٨١

فصل فى معتقده فى النبوات والرسل ١٨٦

المصادر والمراجع ١٩١

المقدمة

كتب العلامة ابن خلدون مقدمته التى درس فيها طبيعة العمران ، وأحوال المجتمع الإنسانى ، وما يسمو به من الأعمال والصناعات ، وما ينحطّ به من العلل والآفات . وكتب فى تلك المقدمة فصلا جاء فيه إن كثرة التأليف فى العلوم عائقة عن التحصيل ، وذكر أنه مما أضرّ بالناس فى تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف ، واختلاف الاصطلاحات فى التعاليم وتعدّد طرقها . . فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلّها أو أكثرها ، ومراعاة طرقها . ولا يفى عمره بما كتب فى صناعة واحدة إذا تجرّد لها ، فيقع فى القصور . .

وإذا كان قول ابن خلدون فى أن كثرة التآليف وتشعبها تعوق تحصيل العلم ، يصدق على أكثر الناس لما فيه من تشتيت الجهود ، وبلبلة الأفكار ، واضطراب العقول بين موادها المختلفة ، فإن هذا القول يفقد صدقه عند عالمنا الكبير المغفور له أحمد تيمور الذى لم يعقه عن تحصيل العلوم كثرة كتبه ، ولا تعدّد مراجعه فى كلّ فن من فنون المعرفة التى عرض لها بالدراسة العميقة ثم بالتأليف النافع .. قضى أحمد تيمور حياته الغالية ، وبذل أمواله الوافرة فى التنقيب عن أصول العلم ومراجعه ، يجد فى طلبها ، ويشتريها بالحرّ من ماله ، ويستنسخها لنفسه ، حتى اجتمع له مالم يجتمع لواحد من المولعين باقتناء الكتب ونفائس المخطوطات فى زماننا ، وأصبحت مكتبته الخاصة ثالثة المكتبات فى الديار المصرية ، بعد دار الكتب المصرية ، والمكتبة الأزهرية .

ولم تكن المكتبة التيمورية فى حياة صاحبها مظهراً من مظاهر الزينة والترف ، ولا سبباً من أسباب الإدلال على الناس بكثرة ما اقتنى منها ، وما جمع من شواردها ، كما يفعل ذلك بعض السراة الذين يزينون دورهم بخزائن الكتب ، وتنسيق مجلداتها ، ليفتنوا بها روّادهم ، ويروهم أنهم من العلم بسبب ، وهى لا تعدو حقيقة أمرها أن تكون أشبه بالدُّمى الصامتة

وبالتماثيل المنصوبة التى قد تبهظ أثمانها ، وحظ صاحبها وحظّ روادها منها لا يعدو النظر إليها فى خشية واستحياء . وغاية ما يشتهون أن يقال إن هذا الكتاب منه نسخة بمكتبة فلان ، ليتيه بذلك ماشاء ، ويزداد به زهواً وخيلاء ثم يتوارثها الأبناء والأحفاد فى جملة ما يتوارثون من الحطام وسقط المتاع ، وما انتفعوا وما نفعوا .

ولكن مكتبة أحمد تيمور ظلّت طوال حياته نزهة طرفه ، ونور عقله وقلبه ، وأمل روّاده وكعبة قصّاده ، ينهل من بحارها ما شاء ، وينهلون منها ما استطاعوا ، وهو راض قرير العين ، سعيد سعادة الأمجاد بقرى الضيفان .

ولم يشأ أحمد تيمور أن تظل تلك المكتبة الزاخرة بعد وفاته حبيسة بين جدران داره ، ليرثها أبناؤه فى أغلى وأعزّ ما يورث من متاع الحياة الدنيا . ولكنه كان يؤمن بشركة العلم ، ويعرف أثم من يحبسه من طلابه ، فأهداها إلى حيث يردها البعيد والقريب ، وينتفع بذخائرها النفيسة كلّ راغب من غير حرج أو تثريب .

إن للعلم حقاً بلى حقين ، عرفهما أحمد تيمور ورعاهما ، وقام بهما حير قيام وهما حق التحصيل ، وحق الإفادة بذلك التحصيلى . ولم يقصر أحمد تيمور فى رعاية الحقّين ، فأكرم نفسه بالعلم الذى حصله ، والمعرفة التى أفادها . ثم وقف ما جمع وما حصل على طلاب المعرفة الذين رأى أنهم يحتاجون إلى ما جمع ، ولا يجدون إليه السبيل إلا فى مثل ماصنع .

* * *

ويرسم أحمد تيمور لنفسه صورة الرجل الفاضل ، وهى صورة فذّة فى زماننا ، وهى أيضاً صورة كريمة ترفع من شأن العلم ، وتعظم من دولة الأدب ، وتعيد لها سيرتها الأولى من رعاية الذين استطاعوا هذه الرعاية ،

والذين ملكوا أسبابها ، أيام كان للعلم صولته ، وكانت للأدب دولته ، وأيام كان جلال الملك وعظمة السلطان لا يجدان لهما مظهراً إلاّ فى مساندة العلماء وإشادة الأدباء .

فقد عرف تاريخنا الحديث بيت تيمور ، وصلته الوثقى بأصحاب السلطان بل ومشاركته فى هذا السلطان .

والسلطان والجاه صنوان ، وحيث يكون السلطان يكون الجاه . ولكن الجاه الذى يستمد من السلطان هو أيسر ألوان الجاه ، لأنه جاه لا عناء فى تحصيله بعد الحصول على السلطان ، وما يتيح لصاحبه من الصولة بالأمر والنهى ، والحل والعقد ، والاستعلاء بما يملك من أسباب الترغيب والترهيب .

وقد عهدنا أصحاب الجاه والثراء والسلطان ، إلا قليلا ممن عصم الله ، تغرهم النعمة ، وتفتنهم الدنيا ، فيصدون عن ذكر الله ، شاخين بأنوفهم ، متعالين على بنى جلدتهم ، يتهافتون على شهوات النفس تهافت الفراش على النار ، ويتهاوون فى حمأة الرذائل ، فتحول نعمة الله عليهم نقمة ، وبلاء لمن يخالطهم من بنى البشر الذين ينظرون إليهم نظرة السادة إلى العبيد ، أو نظرة الأحرار إلى الأرقاء .

ولكن أحمد تيمور يصدف عن ذلك الجاه الذى استمده من كرامة المنبت ومن عراقة البيت ، ومن سلطة الآباء لأنه جاه لم يبنه بيده ، ولم يحصله بجهده ولذلك طلب الجاه الذى يبقى والمجد الذى يفنى ، وهو مجد العلم النافع وجاه المعرفة الباقى ، مع الخلق العالى ، والدين القيم ، والتشبث بالفضائل النفسية ، ومكارم الأخلاق التى حلاه بها الله ، فإذا كان صحب أولئك هم المجان والفساق فإن صحب أحمد تيمور هم حملة العلم وأركان دولة الأدب ، وإذا كان نديم

أولئك الكأس والشراب ، فإن نديم أحمد تيمور هو القلم، وأنيسه الكتاب ولذلك صان الله نفسه الذكية ، فتعالت عن الآثام ، وصان ماله فلم ينفق إلا فى حلال .

* * *

وصورة أخرى من صور كمال النفس ، وتماسك الشخصية ، تطالعنا فى أحمد تيمور . . فقد كان على صلة باللغة الفرنسية إلى درجة الإجادة والإتقان فقد تلقنها طفلا ، وأتقنها يافعاً ، كما كان على معرفة باللغة الفارسية واللغة التركية وقد اطلع على ماشاء من العلم الذى انتهى إليه أصحاب هذه اللغات والآداب التى كتبت بها .

ومن عادة الذين يقفون على بعض ما وقف عليه أحمد تيمور أن يشمخوا بأنوفهم ويتنكروا لقوميتهم ومقوماتها ، ويدلوا على قومهم بهذه المعرفة المجتلبة ، فيجترون كلام غيرهم ، وأفكار الأجانب عنهم ، وكثيراً ما ينتهبونها وينسبونها إلى أنفسهم ، منتهزين غفلة الناس عن مصادر إفادتهم . وقد يأخذك العجب حين تقرأ أو تسمع أن رجلا عربياً أو امرأة عربية ، عاش كلاهما حياته أو أكثرها فى أرض العروبة والإسلام ، ثم صاغ شعراً وألف دواوين باللغة الفرنسية أو غيرها من اللغات الأجنبية فى حين أنه لم يحظ فى الأدب العربى سطراً واحداً أو بيتاً من الشعر ! وماذا يكون « مركب النقص » الذى يذكره علماء النفس إذا لم يكن مثل هذا ؟

ولكن أحمد تيمور كان كما قلنا يعرف نفسه ويعرف مقوماته الأصيلة وما تحتاج إليه من كشف وتوضيح ، أو دعم وتوكيد فأكب على علوم العربية والثقافة الإسلامية يكمل بها نفسه ، ويتعمق فيها ، حتى يصل إلى مستوى رفيع من المعرفة بأسرارها ، يتيح له أن يبحث فيها ، وأن يكتب عنها ، ويدل على

مصادر علمها وموارده ، حتى استطاع أن ينفع بما انتفع .

ولقد كان خير ما ورث أحمد تيمور أبناءه تلك الخلال الإنسانية الرفيعة فأشربهم حب العروبة والإسلام ، وحب علمها وأدبها ، إلى جانب ماورثهم من المثل العالية فى نبالة النفس ، وفى مكارم الأخلاق . فكان كل واحد منهم صورة لأبيه أو صورة الخلف الكريم للسلف الصالح .

* * *

والكتاب الذى نقدمه اليوم عن أبى العلاء المعرى هو واحد من تلك الآثار التى لا تكاد تحصى مما كتب العلامة أحمد تيمور التى يهتدى الباحثون عنها كل يوم إلى كتاب جديد منها ، يضيف إلى كتاب للمعرفة فصولا جديدة عزيزة ، وهى فى الوقت نفسه جهود نافعة .

والحقيقة التى لا بد من الإقرار بها أن هذا الكتاب ليس أول كتاب فى التاريخ عن أبى العلاء المعرى ، فقد فاضت الكتب منذ قبض فيلسوف المعرة إلى زماننا هذا بالحديث عن أبى العلاء ، واستقصاء أخباره ، وتتبع آرائه وأفكاره ، والبحث على أسرار نفسه ، وهواجس فكره ، وصحة معتقده ثم دراسة علمه ، وما أبدع فى فنى المنظوم والمنثور .

وكان أبو العلاء جديراً بهذه العناية المتصلة جديراً بأن يملأ الدنيا ويشغل الناس بعد مماته كما شغلهم فى حياته ، إذ كان أبو العلاء أشبه بالظاهرة الجديدة أو الظاهرة الغريبة فى العصر الذى عاش فيه ، فقد اجتمع حوله من أسباب العلم الأصيل بحياة أمته وتاريخها ، كما اجتمع من صنوف علمها وفنون أدبها مالم يجتمع لواحد من معاصريه ، وعرف من أحكام الدين وثقافة الإسلام شيئاً كثيراً . وغذى نفسه بألوان من الثقافات الوافدة التى تنظم من شأن